فانه كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ان معاملة هولاء الكفار مع كل
الرسل ما كان الا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال المصيبة
اذا عمت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان
بالغوا في ايذاء الانبيا المتقدمين الا ان الله تعالى اعانهم بالاخرة ونصرهم
وايدهم وقهر اعداهم كان سماع هولاء الكفار لامثال هذه القصص
سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم ولان
الكلام اذا طال تقريره في نوع من انواع العلوم فربما حصل نوع من
انواع الملال فاذا انتقل الانسان من ذلك الفن من العلم الى
فن اخر انشرح صدره وطاب قلبه ووجد من نفسه رغبة جديدة
وقوة حادثة وميلا قويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم
علما ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير
زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم
انما عرفها بالوحي والتنزيل وبدل من نوح نبأ اذ قال لقومه
وهم بنوا قابيل يا قوم ان كان كبر اي شق وعظم عليكم مقامي اي
لبثي فيكم الف سنة الا خمسين عاما وتذكيري اي وعظي اياكم بايات
الله اي بحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي فعلى الله توكلت
اي فهو حسبي وثقتي او قيامي على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا
الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم
مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين
قايما وهم قعود فاجمعوا امركم اي فاعزموا على امر تفعلونه في
اذاي بالاهلاك او غيره وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم او الواو بمعنى
مع اي مع شركايكم وهي الاصنام وانما حثهم على الاستعانة بها بناء على
مذهبهم الفاسد واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد

لاتقر

لاتقر ولا تنفع تبكيتا وتوبيخا لهم ثم لا يكن امركم اي الذي تقصدونني
به عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل اظهروه وجاهروني
مجاهرة فانه لا معارضة لي بغير الله الذي يستوي عنده السر والجهر
ثم اقضوا الي اي امضوا ما في انفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا
مات وقضى دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا الي بالقتل والمكروه
وقيل فاقضوا ما انتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض
ما انت قاض اي اعمل ما انت عامل ولا تنظرون اي ولا تؤخروني بعد
اعلامكم اياي ما انتم عليه وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته
بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لم يجدوا اليه سبيلا فان توليتم
اي اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر اي من جعل وعوض على تبليغ
الرسالة فينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على
عظتكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله اقوى تاثيرا في
القلب ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما
نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع
الناس بعلم او ارشاد الى طريق الله تعالى وامرت ان اكون من المسلمين
اي اني مامور بالاستسلام لكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة
وقيل بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له قبلتموه ام لم تقبلوه
فكذبوه اي اصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه
من الغرق ومن معه في الفلك اي السفينة وكانوا ثمانين وجعلناهم اي الذين
انجيناهم معه في الفلك خلايف في الارض يخلفون الهالكين بالغرق
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان وقوله تعالى فانظر اي ايها الانسان
او يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن

Copyright © King Saud University